والرياسة والكياسة، وله ولأخيه مُحسن بن أحمد رَاجِح قصص في الكرم يتناقلها الناس إلى الآن، ويضربون بها الأمثال. ولشعراء عصرهما فيهما غُرر الممادح. وكانا مُستوليين على المنصور باللَّه لا يعمل، إلَّا بما قالاه، ولا سيما صاحب الترجمة، فهو الوزير الأعظم الذي لا يقع في المملكة شيء إلَّا بإذنه ومفاوضته. واستمر كذلك مدة خلافة المنصور. وكان ملازماً له قبل الخلافة. ولما مات المنصور، وقام بعده الإمام المهدي نكب صاحب الترجمة وأخاه المذكورين، وأخذ من أموالهما شيئاً كثيراً. فأما صاحب الترجمة (فمات) بعد ذلك بأيام يسيرة في سنة ١١٦٣ ثلاثٍ وستين ومائة وألف، فبقي لورثته دنيا واسعة، ووقف ثلث تركته على العلماء والمحاويج، وهو جمهور واسع، وصارت الآن صدقة جارية على المستحقين يحصل منها في كل عام شيء واسع. وأما أخوه فتأخر موته إلى سنة ١١٧٣ ثلاثٍ وسبعين ومائة وألف.

(٢٩٧)

## (عَليُّ بن أحمد بن سَعِيد بن مُحمَّد ابن سَعِيد بن الأثير الحلبيّ الأصل المِصْريّ)

ولد في حدود الثمانين وستمائة، وتعانى الخدم الديوانية، وكان أبوه من الأعيان المُوقّعين. وباشر الديوان وكتب الإنشاء، فلما توجّه الناصر إلى الكَرك توجّه صحبته، ووعده بكتابة السِّرِّ، فلمَّا قدم الناصر القاهرة قدَّم له علاء الدين حَلْوَى بمائة وعشرين درهماً باع لأجل شرائها بعض متاعه، فلمَّا وصلت الهدية إلى الناصر تذكّره وقال لدويداره: اكتب إلى مُحيي الدين بن فَضْل اللَّه يكتب إلى أخيه شهاب الدين دستوراً إلى الشام، فإني أستحي أن أواجهه بذلك، فكتب مُحيي الدين إلى أخيه فلم يلتفت إليه، فلما بلغ السلطان ذلك لم يجد بدّاً أن يفصح له بالأمر، فرسم له أن يستقيم في كتابة السرِّ بدمشق عوضاً عن أخيه، فخرج من القاهرة إلى دمشق واستقرَّ صاحب الترجمة مكانه، فعظمه السلطان وأكرمه ونوَّه بقدره، وبلغ عنده ما لم يبلغه غيره حتى كان يأمره أن يكتب إلى نواب الشام بأشياء يأمرهم بها عن نفسه، فعظم قدره جدّاً، وباشر الوظيفة مباشرةً جيدةً، وكان يركب في ستة عشر مملوكاً من الأتراك كل واحد منهم قيمته أكثر من خمسمائة دينار. وكانوا يقومون بالديوان سِماطين ولا يتكلم مع أحد منهم إلّا بالتركية، وهم يترجمون عنه للناس. وكان يكتب خطّاً قويّاً منسوباً، وله اقتدار على إصلاح اللفظة وإبرازها من صورة إلى صورة. وما كان يخرج من الديوان كتاب حتى يتأمله، ولا بد أن يزيد فيه شيئاً. وقد مدحه شعراء عصره كالشِّهاب مَحْمُود، وابن نباتة، وغيرهما. ولم يزل في سعادته إلى أن حصل له مبادئ فالج، ثم تزايد به وظهر ذلك للسلطان فصبر عليه إلى أن أراد يوماً أن يقوم من بين يديه فسقطت

الدواة من يده، فتألم له السلطان وقال للدويدار: اكتب إلى نائب الشام فليجهز لنا القاضي مُحيي الدين بن فَضْل اللَّه، وأرسل علاء الدين أن ينزل إلى بيته فتغافل عن ذلك، ولزم الديوان مريضاً إلى أن وصل مُحيي الدين، فحضر إليه الدويدار وقال له: انزل بيتك فقد وصل صاحب الوظيفة، فنزل في أوائل المحرم وعالجه الأطباء فلم ينجع بل تزايد إلى أن صار لا يتحرك منه شيء أصلاً إلَّا جفونه، فكان إذا أراد شيئاً قرأ له خادمه حروف المعجم، فإذا مر بحرف هو أول الكلمة أطبق جفنه ثم يعود إلى أن يتحصل له كلمة بعد كلمة فيعرف منها مراده. ولم يطل ذلك بل (مات) في منتصف المحرم سنة ٧٣٠ ثلاثين وسبعمائة. قال ابن حَبيب: ماجدٌ ساد عصره بوجوده على الأعصار، وكان يتلطف لذوي الحاجات، ويفتح لهم أبواب الخير. ومن مُدَح ابن نباتة فيه: [من الخفيف]

لا عَـدِمْـنـا لابْـنِ الأثـيـر يـراعـاً ... جَـاريـاً لِـلـعـبـاد بـالأرزاقِ[١]

كُـلّـما مـاسَ فـي الـمـهـارقِ كـالـغُـصـ ... ـنِ رأيـتَ الـنَّـدى عـلـى الأوراقِ[٢]

## ٢٩٨

## (عَليّ بن أحمد هَاجِر الصَّنعاني)

ولد تقريباً سنة ١١٨٠ ثمانين ومائة وألف، وقرأ في العلوم الآلية قراءة متقنة، وفهمها فهماً جيداً، وفاق كثيراً من الطلبة في فهم الدقائق والنكات اللطيفة. وله قراءة عليَّ في علم المنطق في مدة سابقة، وهو يفهمه فهماً بديعاً، ويتقنه اتقاناً عجيباً. وله قراءة عليَّ أيضاً في الكَشَّاف والمُطوَّل، وفي شرحي على المُنتقى، وفي كثير من كتب السنَّة. وهو قويُّ الفهم جيد الإدراك صحيح التصوُّر، قلَّ أن يُوجد نظيره مع صلابةٍ في الدين، واشتغالٍ بخاصة النفس، وصدق لهجة. وهو الآن من محاسن المشتغلين بالعلم في هذا العصر[٣].

## ٢٩٩

## (السيد عَليُّ بن أحمد بن مُحمَّد بن إسْحَاق بن المَهْدي أحمد بن الحَسَن ابن الإمام القَاسِم بن مُحمَّد)[٤]

ولد تقريباً سنة ١١٥٠ خمسين ومائة وألف أو قبلها بيسير، ونشأ بصنعاء، وقرأ على والده وغيره من أعيان علمائها، وبرع في علوم عدة لا سيّما علم الأدب فإنَّ له

(١) اليراع: القلم. (٢) المهارق: الصحائف.

(٣) توفي رابع شهر رجب سنة ١٢٣٥هـ/ ١٨٢٠م.

(٤) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٧/ ٢٥؛ نيل الوطر: ٢/ ١٢٠.